الأبعاد التاريخية لتولي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حكم البحرين (ديسمبر 1869)

ملخص تنفيذي

ركزت الثقافة التاريخية المعاصرة في العالم العربي على إبراز دور القيادة في صنع الأحداث السياسية وإدارة شؤون لحكم، دون بذل جهود موازية لتوثيق دور المجتمعات في عملية التطوير السياسي.

وأدت هذه الظاهرة إلى إغفال عناصر رئيسة في السرد التاريخي المعاصر ومن ذلك؛ معرفة المواقف الشعبية من المشاريع الإصلاحية التي تبنتها مؤسسات الحكم في العالم العربي، وتحديد نمط العلاقة بين السلطة والمجتمع.

أما في البحرين؛ فيمكن تتبع ظاهرة إغفال البعد المجتمعي في السرد التاريخي من خلال رصد تركيز المصنفات التاريخية الحديثة على المعارك التي وقعت في القرن التاسع عشر، دون الحديث عن موقف الشعب من تلك الأحداث، وما تميزت به العلاقة بين السلطة والمجتمع من تعاون وانسجام.

وتأتي هذه الدراسة لمحاولة تقصي الظروف السياسية والاجتماعية التي واكبت تولي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حكم البحرين في شهر ديسمبر عام 1869، حيث مثلت حالة الإجماع الشعبي على ولاية الشيخ عيسى بن علي في تلك المرحلة الحاسمة نموذجاً مهماً لتحديد نمط العلاقة بين السلطة والمجتمع، إضافة إلى تقصي تطور النظم السياسية والإدارية من خلال تحديد نمط المشاركة الشعبية والتفاعل المجتمعي مع مؤسسات الحكم.

وقد عمد الباحث إلى توظيف نظريات "العقد الاجتماعي" لتحليل وسائل تحقيق التوافق المجتمعي الهادف إلى حماية المصلحة المشتركة عبر تأسيس سلطة حاكمة، فعلى الرغم من اختلاف منظري الغرب في تشخيص مستويات وأنماط التحول لدى المجتمعات؛ إلا أنهم أجمعوا على أن التحولات الكبرى في المجتمعات لا بد وأن تنتج عقداً اجتماعياً يحكم العلاقة بين السلطة والمجتمع، وقد مثلت أحداث شهر ديسمبر عام 1869 تطوراً مهماً في التحول السياسي والمجتمعي على حد سواء، مما يعكس تنامي الحس الجماعي بوجود مصلحة مشتركة تتغلب على المصالح الفئوية أو الفردية.

وبعد تقصي أنماط العلاقة بين السلطة والمجتمع في مراحل تأسيس الحكم الخليفي عمدت الدراسة إلى تحليل الظروف المحيطة بتولي الشيخ عيسى بن علي حكم البحرين، وما أعقب ذلك من تحولات كبرى على صعيد التطوير والتحديث، وذلك من خلال الاعتماد على

المصادر الوثائقية والمصنفات التاريخية المعاصرة لفترة حكم الشيخ عيسى بن علي (1869-1932).

أولاً: العلاقة بين السلطة والمجتمع في المراحل التأسيسية من الحكم الخليفي

أدى إغفال البعد المجتمعي في الكتابات الحديثة إلى فقد عناصر مهمة في السرد التاريخي المعاصر وفوت على البحث العلمي فرصاً مهمة لتقصي تطور النظم السياسية والإدارية في البحرين خلال الفترة الحديثة، ومن ذلك: دور حكام آل خليفة في تعزيز مفهوم الشورى وترسيخ علاقة السلطة بالمجتمع.

والحقيقة هي أن سلوك حكام البحرين في ترسيخ مبدأ الشورى وتشجيع المشاركة الشعبية يعود إلى المراحل المبكرة من تأسيس الحكم الخليفي في البحرين في عهد الشيخ أحمد الفاتح (1782-1795) إذ تؤكد المصادر أن الاستعدادات العسكرية لفتح البحرين عام 1783 جاءت كردة فعل مباشرة لتلقي الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة اتصالات ومراسلات من أهل البحرين يطالبونه بإرسال قواته لبسط الأمن فيها، ومن ذلك ما أورده المؤرخ البحريني ناصر الخيري من أن أهل البحرين: "كتبوا لآل خليفة بالزبارة يثبتون عزائمهم ويستنهضون هممهم ويحثونهم على الإقدام لامتلاك البحرين، ووعدوهم بالمساعدة وتسهيل أسباب التملك بكل ما هو في الإمكان، وأفهموهم بأن البلاد خالية ممن يعول عليهم في القتال".[51]

وعلى إثر ورود تلك المراسلات عقد الشيخ أحمد الفاتح عدة جلسات تشاور مع وجهاء الزبارة لمعرفة رأيهم في التوجه نحو البحرين، تأكيداً منه على الدور الأساسي للشعب في تقرير الأمور المصيرية والمساهمة في اتخاذ القرار.

وسار الشيخ سلمان بن أحمد الفاتح (1795-1820) على نهج والده في ترسيخ مبدأ الشورى في شؤون الحكم، مما كان له أبلغ الأثر في نفوس الرعية الذين أظهروا الولاء لقيادتهم، حيث تجلت هذه المشاركة بصورة واضحة في الوفد الذي صاحب الشيخين: سلمان وعبد الله ابني أحمد الفاتح إلى الدرعية للتفاوض مع حاكمها؛ إذ كان في معيتهم وفد من وجهاء البحرين وعلى رأسهم: الشيخ عبد الله بن خليفة آل خليفة، وخليفة بن مبارك الفاضل، وعبد الجليل بن ياسين الطبطبائي الشاعر المشهور، وعبد الرحمن الذوادي، ومحمد بن صقر المعاودة، وكليب البجادي، وسلمان بن ارقيا وزير الشيخ سلمان، والسيد يوسف بن سيد سلمان بن ارقيا وزير الشيخ عبد الله وكان خروجهم في شهر مارس 1810.[52]

---

[51] ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري (2004) **قلائد النحرين في تاريخ البحرين**، تقديم ودراسة عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين.

[52] المرجع السابق. ص 237.

ويمكن حشد عدد كبير من الأمثلة التي تؤكد ترسيخ حكام آل خليفة مبدأ المشاركة الشعبية في الشأن السياسي بالبحرين إبان فترة الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة؛ حيث يتحدث ناصر الخيري عن عقد مجلس تشاوري لمناقشة الخطة الأمثل للتعامل مع الحملة التي كانت تعد لها بعض القوى الخارجية ضد البحرين عام 1810، بقوله: "ولما أكملوا استعدادهم عقدوا مجلساً للنظر فيما هو الأصلح؛ انتظار العدو إلى أن يصلهم إلى عقر دارهم، أو الذهاب إليه... وبعد الأخذ والرد، تقرر الذهاب إليه وملاقاته في البحر".[53]

وتدعونا هذه الحقائق المهمة إلى التأكيد على أن عناصر القوة التي تميز بها العتوب في معاركهم البحرية إبان القرن التاسع عشر لم تكن تقتصر على قوة أسطولهم البحري فحسب، بل كانت السمة الأبرز للقوات الخليفية هي ولاء المجتمع البحريني لحكامه ومراسه آل البحرين وخبرتهم في مجال الملاحة البحرية، وقد لاحظ المسؤولون البريطانيون أهمية هذين العاملين في تفسير تفوق الأسطول الخليفي وقدرة البحرين على دحر جميع أساطيل المعتدين؛ ففي شهر يوليو 1814 زار أحد المسؤولين البريطانيين البحرين، ووصف العتوب بأنهم: "يملكون قوة بحرية كبيرة"،[54] وأرجع المقيم السياسي صموئيل هينيل سر التفوق البحري للعتوب إلى رجالهم الأوفياء، الذين كانوا يدعمونه بكل ولاء وإخلاص. ووصف هينيل القوة البحرية الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة عام 1839 بقوله: "فوضع إمارته التي تكتنفها المياه إلى جانب تفوقه الساحق في القوة البحرية التي تضم عدداً من القوارب الحربية من الطراز الأول، كلها اعتبارات في صفه، فضلاً عن رعاياه الشجعان أولي العزم الذين يألفون الخدمة في البر والبحر، ويمكنه جمع ما لا يقل عن ستة آلاف مقاتل من جزيرتي المنامة والمحرق، وهم على أتم استعداد لدعم شيخهم لآخر مدى".[55]

وتتفق المصادر العربية مع ما ورد في الوثائق البريطانية حول اهتمام الشيخ محمد بن خليفة (1842-1868) برأي الأغلبية، وأخذه بمبدأ التشاور مع وجهاء البحرين في القضايا الحاسمة، إذ يورد ناصر الخيري تفاصيل دقيقة عن مداولات مجلس الشورى الذي عقده الشيخ محمد بن خليفة مع وجهاء البحرين، لمناقشة شؤون الإدارة والحكم، ونزوله عند رأي الأغلبية على الرغم من مخالفته لذلك الرأي سنة 1867، قائلاً:

---

[53] المرجع نفسه. ص.ص 245-246.

[54] Warden, F. (1817), *'Historical Sketch of the Uttoobee Tribe of Arabs'*, in Hughes, T. R. editor (1856), **Selections from the Records of the Bombay Government, New Series no. XXIV. Historical and other information connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain and other places in the Persian Gulf**. Bombay. p.p 368-369.

[55] Letter no. 42, from S. Hennell to Bombay government dated 7th May 1839. In: Schofield, R.N. (1993), **Records of Bahrain: Primary Documents 1820-1960**, 8 volumes, Archive Editions.

"فلما رأى الشيخ محمد ذلك التعنت وشدة الطلب مال إلى المسالمة، وجمع لديه من يعول عليه من وجوه قومه وسراة عشيرته واستشارهم في ذلك الأمر المعضل، وبين لهم بأنه لا يصعب عليه أن يسلم لهم المال المطلوب مهما كان كثيراً، ولكنه يصعب عليه كثيراً أن يقيد حركاته ويمتنع عن الدفاع عن بلاده إذا طمع بها عدو، كما أنه يرفض كل الرفض أن يمضي على جعل البحرين تحت الحماية الانكليزية لما يعلمه ما ستجره هذه الحماية من المصائب على مستقبل البلاد، وطلب منهم أن يتمعنوا في الأمر ويروا فيه رأيهم، ويعملوا ما فيه ضمان مستقبلهم، فانقسم الناس في المجلس حزبان: حزب يؤيد رأي الشيخ محمد بن خليفة بعدم الرضوخ لشروط الانكليز، وفي هذا الحزب احمود بن محمد الفاضل وأحمد بن مبارك الفاضل والشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله. وحزب مسالم مخالف للحزب الأول، وفيه الشيخ محمد بن عبد الله وهو الحزب الأغلب يؤيد رأي الشيخ علي بن خليفة في وجوب مسالمة الدولة والخضوع لأوامرها والعمل بنصائحها، وبعد القيل والقال زاد نفوذ الحزب الأخير وأيدته أغلب الأهالي وسكان البلاد، فلما رأى الشيخ محمد فوز حزب المسالمة وعلم أن أخاه الشيخ علي له يد في تلك الأمور ترك العاصمة ونزح منها إلى الصخير في البر وفوض أخاه في حسن التفاهم مع الدولة ومصالحتها بصفة مرضية بقدر الإمكان".[56]

وعلى الرغم من قصر مدة حكم الشيخ علي بن خليفة (1868-1869)؛ إلا أن عهده قد تميز بترسيخ مبدأ الشورى وتشجيع المشاركة الشعبية في الحكم، حيث جمع الشيخ علي حوله مجموعة من علماء الدين الذين عاشوا في كنفه ورعايته كالشيخ قاسم بن مهزع ووالده مهزع الذي كانت تربطه بالشيخ علي بن خليفة: "مودة وأخوة ظاهرة للعيان في ذلك الزمان". وكان الشيخ مهزع إمام مسجد الشيخ علي بن خليفة الخاص بالمنامة منذ عام 1853 وكان يجزل له العطاء،[57] وعندما توفي الشيخ مهزع عين الشيخ علي بن خليفة مكانه ابنه الشيخ قاسم بن مهزع للإمامة، وكان الشيخ قاسم أحد مستشاريه: "يرافقه في غدواته وروحاته". وبقي مرافقاً للشيخ علي بن خليفة حتى مقتله في معركة الضلع عام 1869.[58]

وفي فترة حكم الشيخ علي بن خليفة ظهرت أسماء عديدة ممن تولوا مناصب إدارية واستشارية وعلى رأسهم: آل ابن ارقيا الذين تولوا مناصب هامة في الإدارة المحلية، كما ذكرت المصادر البريطانية تولي سيد ماجد سيد درويش تمثيل الشيخ علي في الشؤون الخارجية للبحرين والتفاوض معهم نيابة عنه، فعندما تأزمت الأوضاع في البحرين عام 1869، ولاحظ الشيخ

---

[56] ناصر الخيري (2004) **قلائد النحرين**، مرجع سابق، ص.ص 333-337.

[57] مبارك الخاطر (1986) **القاضي الرئيس قاسم بن مهزع: رجل من أرض الحياة 1847-1941**، البحرين. ص 41.

[58] المرجع السابق، ص 45.

علي بوادر تشكل تحالف ضده، بادر إلى إيفاد سيد ماجد إلى بوشهر لإبلاغ المقيم السياسي البريطاني بتطورات الأوضاع، وورد في إحدى المخاطبات التي أرسلها الشيخ علي إلى المقيم البريطاني لويس بيلي قوله:

"أرسل لكم الآن وكيلي سيد ماجد سيد درويش، وسوف يقوم بإبلاغكم شفهياً بالأسباب، وسوف تعلمون منه سبب رغبتي في حضوركم إلينا، وإلا فإننا من طرفنا وطرف أولادنا إبراهيم وعيسى سوف نلتزم بما يقوم هو بترتيبه معكم، وأنا موافق تماماً على ما تتفقون عليه".[59]

وفي الفترة ذاتها برز دور آل صفر، وعلى رأسهم: حجي عبد النبي خان صفر الذي تولي منصب وكيل بريطانيا في البحرين إبان الفترة 1872-1884، وكان عبد النبي قد خلف حجي ميرزا محمد علي صفر الذي تولى المنصب نفسه في الفترة: 1834-1842.

ومارس حجي إبراهيم بن محسن بن رجب دوراً لا يقل أهمية عن سابقيه من آل صفر، إذ إنه تولى منصب الوكيل المحلي إبان الفترة 1862-1864، ولعب دروا هاماً في الشؤون المحلية للبحرين.[60]

ثانياً: الأحداث التاريخية التي أفضت إلى تولي الشيخ عيسى بن علي حكم البحرين

أدى صراع القوى الإقليمية في الخليج العربي والتدخلات البريطانية المستمرة إلى تردي الأوضاع بالبحرين في ستينيات القرن التاسع عشر، وبلغت الأزمة ذروتها عام 1868 بسبب اندلاع الفتن الداخلية، والفراغ السياسي الناتج عن مغادرة الشيخ محمد بن خليفة، مما اضطر أخاه الشيخ علي إلى تولي الحكم، وسرعان ما اندلع الصراع بين السلطة الجديدة وبعض الأطراف المعارضة التي شنت هجوماً على البحرين في شهر أغسطس من ذلك العام، وأسفر ذلك الهجوم عن مقتل الشيخ علي بن خليفة في معركة الضلع.

وبعد مرور يومين على معركة الضلع (أي في 2 سبتمبر 1869) قام محمد بن عبد الله بتنصيب نفسه حاكماً على البحرين، وألقى بحاكم البحرين الأسبق الشيخ محمد بن خليفة في السجن.[61]

وعلى الرغم من ادعاء محمد بن عبد الله أنه قام بتولي الحكم لحماية البحرين والسيطرة على الأوضاع الأمنية فيها؛ إلا أن المصادر تجمع على أن حكم محمد بن عبد الله كان ضعيفاً، وبأنه لم يتمكن من السيطرة على الأمور، فقد رأى مساعد المقيم السياسي في بوشهر بأن أعمال النهب في البحرين كانت بسبب ضعف محمد بن عبد الله، قائلاً: "ولكنني أحب أن أوضح أن

---

[59] Tuson, P. (1993), **Records of Bahrain: Primary Documents 1820-1960.** 2/177.

[60] Onley J. (2007) **The Arabian Frontier of the British Raj**. Oxford University Press. England. pp. 135-137.

[61] Tuson, P. (1993) **Records of Bahrain.** 2/229-239.

الشيخ محمد بن عبد الله يبقى في مكانه بفضل وجود البدو معه، إلا أنه في الوقت نفسه لا يستطيع السيطرة عليهم".[62]
وقد شكك المسؤولون البريطانيون في قدرة محمد بن عبد الله على الاستئثار بحكم البحرين، حيث نقلت الوثائق البريطانية عن المقيم السياسي في بوشهر بيلي قوله: "لو اعتبرنا أن محمد بن خليفة قد قتل فإنني أعتقد أن محمد بن عبد الله سوف يعين ناصر حاكماً على المحرق وسوف يقوم الشيخان بحكم المنامة والمحرق".[63]

ولاحظ بيلي أنه على الرغم من مرور شهر على معركة الضلع إلا أن أعمال النهب كانت مستمرة دون توقف، ولم يتمكن محمد بن عبد الله من السيطرة عليها، وعلق على ذلك بقوله: "ويبدو أن محمد بن عبد الله ليست له أية سلطة على قبائل الهواجر التي أوصلته إلى الحكم، ولذا فإنهم يسلبون المنامة منذ أن وقعت في أيديهم منذ أربعة أسابيع، وكانت أعمال السلب مستمرة عندما غادرت السفينة دالهوزي، كما أن المسروقات تشحن إلى الجزيرة العربية ويقوم رعايانا من الهنود بشراء ممتلكاتهم وأمتعتهم من الذين سلبوها منهم بأسعار رخيصة إضافة إلى مسروقات أخرى".[64]

وعلق ناصر الخيري على النهب الذي وقع في البحرين عقب مقتل الشيخ علي بن خليفة بقوله: "واشتغل البدوان بالنهب والسلب وخراب البلد حتى تركوها خاوية على عروشها، وألجأوا سكانها إلى الفرار والنجاة بأنفسهم وأرواحهم تاركين أملاكهم وأموالهم تحت رحمة البدوان، غير آسفين عليها ولا نادمين".[65]
ولم يكن موقف المقيم البريطاني من تلك الأحداث إيجابياً؛ فعلى الرغم من ارتباط بريطانيا مع البحرين بعدة معاهدات تفرض على الأسطول البريطاني التدخل لحماية أمن البحرين من أخطار الغزو الخارجي، إلا أن المقيم السياسي لم يبدي أي اكتراث بمقتل الشيخ علي وانتشار السلب والنهب في أسواق المنامة، متعذراً بعدم وجود القوة الكافية لديه، إلا أن الوضع تغير بالنسبة له عندما وردت أنباء استهداف رعايا بريطانيا من الهنود وتضرر المصالح البريطانية في المنامة؛ حيث بادر الكولونيل بيلي إلى إرسال مساعده واي على ظهر: "سفينة صاحبة الجلالة دالهوزي" لنقل التجار الهنود من البحرين إلى أماكن أكثر أمناً، لكن رغبة الكسب عند هؤلاء التجار كانت قوية بحيث جعلتهم جميعاً يرفضون مغادرة البحرين مفضلين البقاء

---

[62] Ibid. 2/238.
[63] Letter dated 25th Sept. 1869. Ibid. 2/219.
[64] Ibid. 2/219.
[65] ناصر الخيري (2004) **قلائد النحرين**، مرجع سابق، ص. 365.

للمتاجرة بالبضائع المنهوبة التي كانت تباع علناً في أسواق البحرين والقطيف بما يوازي خمس ثمنها الحقيقي.

ولدى وصوله إلى البحرين رأى مساعد المقيم أعمال النهب بنفسه، وكانت السفن المحملة بالبضائع المنهوبة تمر أمامه متجهة نحو القطيف، ومع ذلك فإنه لم يحرك ساكناً للدفاع عن أمن البحرين، متذرعاً بأنه لم يكن لديه أية تعليمات من ذلك القبيل، ووصف مساعد المقيم أعمال النهب بقوله: "لا أستطيع تخمين كمية المسروقات التي أخذها البدو، ويقال أنهم احتاجوا إلى ألف عبد ومجموعة من الأحرار لحمل المسروقات التي لم تسترجع إلى الآن، وبينما يتولى محمد بن عبد الله مهام الحكم؛ يقوم ناصر بن مبارك ومعه 200 أو 300 من البدو يومياً بسرقة القليل الباقي من المنامة ثم يرسلونه إلى القطيف، وتمر علينا يومياً سفن محملة بالمسروقات، وكانت إحداها قريبة جداً من سفينتنا، ولهذا استطاع أحد العبيد القفز منها إلى حريته بالوصول إلى سفينتنا وطلب الأمان والحرية، وبما أنني ليست لدي أية تعليمات عن إيقاف أعمال النهب ونقل المسروقات لذلك لم أتدخل... وقد وصل الأمر بأهل المنامة أن الميسورين منهم أصبحوا يستجدون يومياً للعيش، وإذا لم تتوقف أعمال السلب والنهب سوف نصل إلى حالة ينعدم فيها القوت والمواد الغذائية وسيترك الناس المدينة ويهجرونها".[66]

وبناء على هذه التطورات اضطر الكولونيل بيلي لإرسال خطاب بتاريخ 12 سبتمبر 1869، إلى الأمير عبد الله بن فيصل يخبره بأنه سيقوم بمعاقبة الهواجر، ويطلب منه الإيعاز إلى واليه في القطيف أن يلتزم بمعاهدة 1866 بين أمير نجد وبريطانيا والتي تقتضي من حاكم نجد منع رعاياه من ركوب البحر بقصد الاعتداء على حلفاء بريطانيا، وبأنه سيطلب من حاكم القطيف (محمد بن عبد العزيز بن حسين) توضيح موقفه في تسهيل عملية الهجوم على البحرين من القطيف التي أصبحت قاعدة انطلاق للقتل والقرصنة كما أرسل بيلي خطاباً إلى محمد بن عبد الله وناصر بن مبارك يطب منهما إخلاء الرعايا البريطانيين، وإعادة البضائع التي سرقت من مساكنهم ومتاجرهم".[67]

وفي الجهة المقابلة من الخليج العربي قام الحاكم العام لإقليم فارس مسعود ميرزا بإرسال خطاب إلى محمد بن عبد الله في شهر نوفمبر يعترف به حاكماً على البحرين، ويطلب منه التنسيق مع واليه في الخليج العربي ميرزا مهدي خان لتقديم المساعدات اللازمة له.[68]

[66] Tuson, P. (1993), **Records of Bahrain.** 2/229-239.
[67] Ibid. 2/215.
[68] Ibid. 2/321-324.

وأمام هذا التحدي السافر للنفوذ البريطاني قررت حكومة بومبي أن تتحرك أخيراً لإثبات هيبتها في المنطقة، وأبلغ المقيم السياسي بيلي السفير البريطاني في طهران رونالد تومسون في 14 نوفمبر 1869، نيته التحرك لحماية رعايا بريطانيا في البحرين قائلاً: "لقد تلقيت الأوامر من الهند للتوجه إلى البحرين، ومحاسبة زعماء البحرين الحاليين على مخالفتهم لمعاهدة الصلح البحري، ولاعتدائهم على شيخ البحرين المنصب بواسطة الحكومة البريطانية، أرجو منك إبلاغ حكومة فارس بمجريات الأمور".[69]

وكانت الأوامر الموجهة إلى بيلي تتضمن: حصار البحرين، واستخدام القوة اللازمة للقضاء على المخلين بالسلام، وعلى رأسهم محمد بن عبد الله وناصر بن مبارك، وإلقاء القبض على الشيخ محمد بن خليفة، كما نصت التعليمات الموجهة إلى القائد البحري البريطاني دوجلاس على: "التوجه إلى البحرين لمعاقبة حكامها الذين انتهكوا معاهدة السلم البحري، وقاموا بأعمال القرصنة والنهب".[70]

والحقيقة هي أن المزاعم البريطانية بالمحافظة على السلم البحري ومنع أعمال القرصنة والنهب لم تكن صحيحة على الإطلاق؛ فالمقيم السياسي البريطاني في بوشهر قد رفض بصورة قطعية تحريك الأسطول البريطاني عندما كانت ترد التقارير تباعاً بإعداد القوات المتمردة لحملة شاملة ضد البحرين قبل وقوع معركة الضلع، كما رفض المقيم إرسال أي قطع عسكرية بهدف ردع القوى المتمردة عن مهاجمة البحرين، بل ترك الشيخ علي بن خليفة لمواجهة مصيره دون السماح له بمهاجمة المتمردين ومنعهم من مهاجمة البحرين.

وفي 19 نوفمبر هوجمت قلعة أبو ماهر واستسلمت حاميتها، وتم تسليم الشيخ محمد بن خليفة الذي أخرج من سجنه ونقل مكبلاً إلى السفينة "دافني"، كما سلم محمد بن عبد الله نفسه، في حين وقع ناصر بن محمد وعلي بن ناصر آل خليفة في الأسر. أما ناصر بن مبارك فقد تمكن من الهرب إلى الأحساء مع أنصاره.[71]

وبعد هدم قلعتي المنامة وأبي ماهر، ومقتل وإصابة حوالي 17 من قوات المتمردين، توقفت العمليات العسكرية في الأول من ديسمبر 1869، بعد أن وقع في الأسر خمسة من زعماء

[69] Schofield, R.N. (1992) **Arabian Boundary Disputes.** Archive International Group, Switzerland.13/5-18.
[70] Tuson, P. (1993) **Records of Bahrain.** 2/269.
[71] جون لوريمر (1976)، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، الجزء الثالث، قطر، القسم التاريخي. 189/3-191.

المتمردين، وعلى رأسهم الشيخ محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله، حيث اعتبروا سجناء حرب، وتم ترحيلهم إلى قلعة أسير جور بالهند.[72]

وفي هذه الأثناء كانت الجهود تبذل للبحث عن حاكم جديد يمكنه السيطرة على الأوضاع الأمنية والتعهد بتعويض الرعايا البريطانيين عن الأضرار التي لحقت بهم جراء أعمال النهب.

ثالثاً: الأبعاد التاريخية لتنصيب الشيخ عيسى بن علي حاكماً على البحرين عام 1869

مثلت عملية تنصيب الشيخ عيسى بن علي حاكماً على البحرين أهمية كبيرة في تاريخ البحرين الحديث؛ حيث أظهرت عمق العلاقة المجتمعية مع القيادة، وارتبطت منذ ذلك البحرين بمفهوم العقد الاجتماعي الذي يحكم العلاقة بين الدولة والمجتمع من جهة، وانتقال البحرين إلى العصر الحديث من جهة أخرى،

فقد عرف أهل البحرين الشيخ عيسى بن علي منذ نعومة أظفاره؛ حيث كان والده الشيخ علي بن خليفة معروفاً بقربه من مختلف فئات المجتمع، وبحرصه على تحقيق التآلف وإصلاح ذات البين، ولذلك فإنه عندما بشر بمولود له عقب معركة أم سوية عام 1848، قرر أن يسميه "عيسى" نسبة إلى خاله عيسى بن طريف الذي كان قد قتل في تلك المعركة.[73]

وتحدث النبهاني عن نشأة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بقوله: "ولما جاوز سموه نصف العقد الأول من أعوام عمره الميمون ضمّ إليه المربين والمؤدبين وعلماء الدين، فأخذ عنهم ما يجب لأولاد الملوك وإدارة الممالك، ولما أميطت عنه التمائم وظهرت منه للنجابة علائم استقدم أبوه الاختصاصيين بشؤون الإدارة وعلوم السياسة والاجتماع، فحاز في مدة قصيرة ما لم يحزه أغلب كبرى الجامعات، وكان في جميع أدواره آية في الذكاء والفصاحة وتوقد الذهن والبلاغة".[74]

---

[72] توفي ناصر بن محمد سجيناً في الهند سنة 1873، وتوفي بعده محمد بن عبد الله في السجن نفسه سنة 1877، أما الشيخ محمد بن خليفة فقد بقي في السجن حتى عام 1878، ثم أخلي سبيله وسمح له بالإقامة في مكة المكرمة حتى وفاته عام 1890.

[73] ناصر الخيري (2004) **قلائد النحرين**، مرجع سابق. ص.ص 313-314. وقد علق النبهاني على تسمية الشيخ عيسى نسبة إلى خال والده بقوله: "وكانت ولادته أمد الله في سني حياته في غرة عام 1265، فسماه والده المعظم باسم صهره المرحوم عيسى بن طريف آل بن علي إحياء لذكره وإعلاناً منه بأن ما صدر منه لا يصلح أن يكون سبباً لقطع الرحم وأواصر القرابة". محمد خليفة النبهاني (2004) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالاشتراك مع المكتبة الوطنية بالبحرين.

[74] النبهاني (2004) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق. ص 137.

كما عرف أهل البحرين الشيخ عيسى بن علي من خلال توليه حكم جزيرة المحرق في عهد والده الشيخ علي بن خليفة (سبتمبر 1868- أغسطس1869)، وكانت المحرق تمثل الثقل السياسي، وموطن الحاكم والعديد من وجهاء البحرين ورجالاتها.[75]

وعندما اندلعت معركة الضلع في أغسطس 1869؛ قاتل الشيخ عيسى إلى جانب والده وأخيه إبراهيم اللذين سقطا على أرض المعركة، بينما انتشل المقاتلون الشيخ عيسى بن علي وقد أثخنته الجراح، فعادوا به إلى المنامة، ثم غادروا به إلى قطر، ونزلوا عند ناصر بن جبر شيخ قبيلة النعيم، حيث انضم إليه أنصار الشيخ علي هناك.

وفي أثناء إقامته بقطر وقعت الفوضى والنهب في البحرين، وكان إجماع أهلها منعقداً على أن الشيخ عيسى بن علي هو الشخص الأقدر على إعادة الأمن وطرد الغزاة، وقد أكد على ذلك سيد ماجد سيد درويش، الذي كان من وجهاء البحرين، فعندما قتل الشيخ علي وتفرق رجاله، وفد سيد ماجد إلى بوشهر قادماً من القطيف، والتقى بالمقيم السياسي لويس بيلي في الأول من شهر أكتوبر 1869 (أي بعد مقتل الشيخ علي بحوالي شهر) وتحدث عن معركة الضلع وما أعقبها من تطورات، ثم قال للمقيم: "إن الشيخ عيسى بن علي الذي يقيم في قطر هو الشخص الذي يجب أن يتولى حكم البحرين، فهو جدير باحترام المعاهدات المبرمة معكم، وحسن معاملة رعاياكم، ويمكنه تنفيذ الالتزامات التي قطعها لكم والده في الخريف الماضي (إشارة إلى معاهدة سبتمبر 1868)، وهو الوحيد الذي يستطيع سداد الالتزامات نحوكم من عوائد أملاك القراصنة، وتعويض الأضرار التي تكبدها رعاياكم نتيجة عمليات النهب التي وقعت مؤخراً في البحرين".[76]

وقد تأكدت هذه المعلومات لدى المقيم السياسي بيلي عندما قدم إلى البحرين، وقام بمشاورات واسعة فيمن يتولى الحكم، فوجد بأن إجماع وجهاء البحرين وأعيانها منعقد على المطالبة بقدوم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ليتولى مقاليد الحكم ويعمل على إحلال الأمن وإعادة الاستقرار الذي فقدته البحرين خلال الشهرين السابقين.[77]

وكان هذا الإجماع بمثابة اعتراف شعبي بالحنكة السياسية لدى الشيخ عيسى بن علي وقدرته على إدارة دفة البلاد إلى بر الأمان في تلك الظروف العصيبة، ففي خطاب أرسله المقيم

---

[75] عبد الله بن خالد الخليفة وعلي أبا حسين (2005) **تاريخ آل خليفة في البحرين**، مركز الوثائق التاريخية، البحرين. ص 233.

[76] Tuson, P. (1993) **Records of Bahrain.** 2/259.

[77] علي أبا حسين (1991)، "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة"، **الوثيقة**، البحرين: مركز الوثائق التاريخية، العدد 19، البحرين. ص33.

السياسي إلى حكومة الهند البريطانية في 2 ديسمبر 1869 أكد بيلي بأنه: "كان هناك ترحيب شعبي بقدومه ورفعت فور وصوله الأعلام في المدينة وعلى جميع السفن".[78]

وورد في تقرير صادر عن حكومة الهند البريطانية بتاريخ 11 ديسمبر 1869: "تولى الشيخ عيسى بن علي منصب الحكم الشاغر، وتم الاعتراف به من قبل المقيم السياسي نيابة عن حكومة الهند، علماً بأن الكولونيل بيلي لم يتدخل بأي صورة للتأثير [على الشعب] في اختيار الحاكم الجديد".[79]

وأكد لوريمر هذه الحقيقة بقوله: "وجاء الشيخ عيسى بن علي من قطر التي كان مستقراً فيها، ونصب حاكماً على البحرين، دون أي تدخل من جانب السلطات البريطانية، ووسط مظاهر الابتهاج الشامل من أهالي البحرين".[80]

وقد عد المؤرخون تولي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الحكم عام 1869 صورة جلية لظهور الحس الوطني؛ إذ تمت بيعته بإجماع شعبي في وقت كانت البحرين فيه أحوج ما تكون إلى وجود حاكم يحظى باحترام المجتمع على اختلاف فئاته.

وقد ظهر ترحيب أهل البحرين وابتهاجهم بقدوم الشيخ عيسى بن علي في صور عدة يوم الثاني من ديسمبر عام 1869، ويمكن تفصيل ذلك فيما يأتي:

1- إجماع أهل البحرين على اختيار الشيخ عيسى حاكماً على البحرين

في 13 نوفمبر 1869 أصدر نائب الملك البريطاني في بومبي تعليمات للمقيم السياسي في بوشهر لويس بيلي، بضرورة استفتاء أهل البحرين على من يتولى الحكم فيهم، وكان من الواضح بأن الشيخ عيسى بن علي كان هو المرشح الأفضل لتولي المنصب، إذ أنه: "أكبر أبناء الشيخ السابق في سن النضج، ويبدو اقتراح خلافته لأبيه اقتراحاً معقولاً، ويمكن للكولونيل بيلي أن يعترف بعيسى شيخاً بعد القبض على الزعماء الثلاثة قادة العدوان، إذا كانت الظروف مناسبة، وإذا ما تيقن أن الناس يوافقون على هذا التغيير".[81]

وبعد انتهاء العلميات العسكرية عقد المقيم السياسي بيلي جلسات عدة مع رؤساء القبائل والأعيان بالبحرين للتشاور فيمن يتولى أمر البحرين، وكان الإجماع على اختيار الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث ذكر بيلي في تقريره عقب تلك الأحداث بأنه: "عندما دخلنا البحرين

---

[78] Rush, A.E. edt. (1991) *"The Ruling Family Bahrain: of Al-Khalifah"* in **Ruling Families of Arabia**, Archive Editions, London, Redwood Press Ltd. p. 27.

[79] Ibid. p. 28

[80] لوريمر (1967) **دليل الخليج**، مصدر سابق، القسم التاريخي، 3/192.

[81] فتوح عبد المحسن الخترش (1992) **تاريخ البحرين السياسي 1753-1904: التأسيس والازدهار، دراسة وثائقية لمجموعة سالدانها**، ذات السلاسل، الكويت. ص 109.

قابلنا تحت حماية السلاح بعض الزعماء الكبار والصغار وزعماء بعض القبائل المسالمة واستخلصنا بأن القبائل في البحرين كانت ترغب بتعيين عيسى بن علي حاكماً للبحرين".[82]

وقد ذكر محمد بن خليفة النبهاني بأن المقيم السياسي بيلي في البحرين قد استشار: "رؤساء قبائلها وأعيان أهلها فيمن يختارونه حاكماً عليهم فأجمع الكل على طلب الشيخ عيسى بن علي، فكتب المعتمد البريطاني إليه يستقدمه".[83]

ويؤكد محمد علي التاجر على رواية النبهاني بقوله: "ثم إن المعتمد استشار أهل البحرين فيمن يختارون حاكماً عليهم فأجمع الكل على طلب الشيخ عيسى بن علي فكتب إليه المعتمد يستقدمه من قطر".[84]

وأضاف ناصر الخيري معلومات أكثر تفصيلاً عن وقائع مجلس الشورى الذي انعقد لاختيار الحاكم الجديد بقوله: "قبض بيلي على الشيخ محمد بن عبد الله وأعوانه، ثم ألف مجلساً جمع فيه أكابر البلدة وأعيانها، وخيرهم في طلب الحاكم الذي يرتضونه، وسألهم عما إذا كانوا راضين بحكومة الشيخ محمد بن عبد الله أو أحد أنجال الشيخ علي بن خليفة، فوقع اختيار الأهالي جميعاً على حضرة الشيخ عيسى بن علي أكبر أنجال الشيخ علي بن خليفة بعد إبراهيم المقتول مع والده، فبعث كرنل بيلي في طلب الشيخ عيسى من قطر".[85]

2- خروج سفن البحرين لاستقبال الشيخ عيسى بن علي في عرض البحر

عندما وردت الأنباء باقتراب وصول موكب الشيخ عيسى بن علي صباح يوم 30 نوفمبر 1869 قادماً من قطر، توجهت على الفور ثلاثون سفينة تحمل على متنها عدداً كبيراً من أهل البحرين الذين قدموا للاحتفاء به، وتأمين الحماية له، والتأكد من وصوله سالماً إلى البحرين؛ إذ يؤكد بيلي بأن: "عيسى بن علي الذي استدعي من قطر شوهد في طريقه قادماً من الزبارة وتوجهت إلى هذه النقطة ثلاثون سفينة ترافقه في طريقه إلى البحرين".[86]

وتجدر الإشارة إلى أن السفن التي انطلقت لاستقبال موكب الشيخ عيسى بن علي وحمايته لم تكن سفناً بريطانية، إذ أن عدد القطع البحرية البريطانية التي شاركت في العلميات العسكرية في تلك الفترة لم تتجاوز الأربع سفن، ولم تتحرك أي منها لتأمين الحماية للشيخ عيسى بن علي، ولم تصدر من جهة المقيم السياسي بيلي أو القائد البحري دوغلاس أي تعليمات لتحريك

---

[82] Tuson, P. (1993) **Records of Bahrain.** 2/272-276.

[83] النبهاني (2004) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق. ص.ص 193-194.

[84] محمد علي التاجر (1994)، **عقد اللآل في تاريخ أوال**، البحرين: مؤسسة الأيام، البحرين. ص.ص143-144.

[85] ناصر الخيري (2004) **قلائد النحرين**، مرجع سابق. ص 367.

[86] Tuson, P. (1993), **Records of Bahrain.** 2/272-276.

السفن المحلية أو البريطانية باتجاه موكب الحاكم الجديد، بل تمت عملية تشكيل الموكب البحري بمبادرة شعبية محضة.[87]

3- مبايعة الشيخ عيسى بن علي وسط مظاهر الفرحة والابتهاج

عندما أوشك موكب الشيخ عيسى بن علي على الوصول مدينة المحرق تصحبه سفن البحرين، استقبله الشعب بحفاوة، وعبروا عن بهجتهم بوصوله من خلال رفع الأعلام على السفن وفي الميناء، إذ يذكر المقيم السياسي بأنه لدى وصول الشيخ عيسى بن علي: "رحب به الناس، وقامت المدينة والسفن الراسية في الميناء على الفور برفع الأعلام".[88]

وعندما نزل الشيخ عيسى بن علي في المحرق ودخل القلعة؛ وفد إليه وجهاء البحرين لمبايعته حاكماً عليهم، وذلك في آخر شهر شعبان 1286هـ/ 2 ديسمبر 1869م، وسط مظاهر الفرح والابتهاج، وكان عمره 21 عاماً آنذاك.[89]

وقد وصف القائد الأعلى للأسطول البريطاني في الخليج العربي دوغلاس أحداث وصول الشيخ عيسى بن علي إلى البحرين بقوله: "في ظهر اليوم التالي (2 ديسمبر 1869) وصل الحاكم عيسى بن علي ومعه قوة كبيرة من المسلحين، وبعد المقدمات والرسميات دخل المدينة وسلمت له قلعة المحرق ونزل بها".[90]

وبعد أن بايع وجهاء أهل البحرين وممثلوهم الشيخ عيسى بن علي في القلعة؛ "خرج جميع سكان المحرق تقريباً لاستقباله، ورفعت السفن والمنازل علم البحرين، بعد ذلك زارنا عيسى بن علي مرتين على ظهر سفينتنا وفي كل مرة استقبلناه كرئيس دولة".[91]

وأكد لوريمر بأن الشيخ عيسى بن علي: "نصب حاكماً على البحرين دون أي تدخل من جانب السلطات البريطانية ووسط مظاهر الابتهاج الشامل من أهالي البحرين".[92]

والحقيقة هي أن مظاهر الابتهاج بقدوم الشيخ عيسى بن علي إلى البحرين لم تقتصر على المحرق، بل قام الحاكم الجديد بإرسال مندوبيه إلى المنامة لأخذ البيعة له، والعمل على استعادة الأمن، إذ يؤكد الكابتن دوغلاس بأن الشيخ عيسى بن علي: "أرسل رجاله إلى المدينة حيث استقبلهم الناس بالحفاوة".[93]

---

[87] "كلايد (Clyde)"، "هيوروز (Hugh Rose)"، القطع البحرية البريطانية التي ذكر الكابتن دوغلاس بأنها شاركت في العمليات العسكرية هي: "نيمف (Nymphe)"، "دافني (Daphne)".

[88] في خطاب بتاريخ 8 ديسمبر 1869 رقم 389 إلى وزير الخارجية بكلكتا، نقلاً عن: الخترش (1992) **دراسة وثائقية لمجموعة سالدانها**، مرجع سابق. ص.ص 115-116.

[89] علي أبا حسين (1991) "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة"، **مجلة الوثيقة**، ع 19، مركز الوثائق التاريخية، البحرين. ص 35.

[90] I.O.R. L.P&S/5/264

[91] Tuson, P. (1993) **Records of Bahrain.** 2/272-276.

[92] لوريمر (1967) **دليل الخليج**، مصدر سابق، القسم التاريخي، 3/190.

[93] Tuson, P. (1993), **Records of Bahrain.** 2/269.

4- ترحيب الدول المجاورة بتولي الشيخ عيسى بن علي الحكم

تحدثت المصادر البريطانية عن تلقي القوى المجاورة للبحرين خبر تولي الشيخ عيسى بن علي بالاستحسان والقبول، فعندما شارف الأسطول البريطاني الوصول إلى البحرين، أرسل المقيم السياسي بيلي إلى قبائل قطر خطاباً يطلب منهم عدم التعرض للشيخ عيسى بن علي في طريقه إلى البحرين لتسلم الحكم، وتلقت قبائل قطر هذه الأنباء بكثير من الاهتمام إذ يؤكد النبهاني بأنه: "لما وصل الكتاب وفشا الخبر في قطر جعل أهل قطر يعرضون على الشيخ عيسى سفنهم ومساعدتهم... فشكرهم وأبان لهم عدم حاجته إلى مساعدتهم، وركب هو وعشيرته السفن من مرساها، وقالوا بسم الله مجريها ومرساها وأتى البحرين بمن معه من عشيرته".[94]

كما عمد بيلي إلى إيفاد مساعد المقيم الميجور سميث لإشعار الدول المجاورة بمبايعة الشيخ عيسى بن علي حاكماً على البحرين، ولاحظ سميث بأن زعماء هذه الدول قد تلقوا الخبر بالاستحسان، ففي السادس من شهر ديسمبر 1869 قابل سميث الشيخ زايد بن خليفة في أبو ظبي، وأخبره بأن الشيخ عيسى بن علي تولى حكم البحرين، وأضاف سميث بأنه الشيخ زايد علق على هذا الخبر بقوله: "هذا هو الصحيح، هو من يحل محل والده، هذا صحيح، هذا صحيح".[95]

5- عدم تدخل بريطانيا في اختيار حاكم البحرين

تؤكد المصادر البريطانية بأن عملياتها العسكرية في البحرين جاءت بهدف حماية المصالح البريطانية، والتأكد من إلزام البحرين بدفع التعويضات لرعاياها الذين تعرضوا للنهب في أعقاب معركة الضلع، ولم يتدخل الأسطول البريطاني إلا عندما تعرضت مصالح رعاياه للخطر، وعندئذ فقط أرسل بيلي مساعده الكابتن واي على ظهر سفينة صاحبة الجلالة "دالهوزي" لنقل الرعايا البريطانيين الذين يرغبون في المغادرة![96]

وعندما طلب بيلي من حكومة الهند البريطانية الإذن بالتدخل العسكري في البحرين كان الهدف الرئيس هو: "التفاهم مع الشيخ الذي سيعترف به -أياً كان- على مصادرة أراضي المتمردين والقراصنة... وتخصيص ثمن بيعها لتعويض الأشخاص الذين تعرضوا للنهب والسلب".[97]

وفي تقريره حول الأحداث ذكر بيلي بأنه لم يتدخل في عملية تنصيب الشيخ عيسى بن علي، بل أكد للشيخ عيسى بأنه: "إذا ما كان راغباً في أن يكون حاكماً للبحرين، يجب أن يعلم أنه

---

[94] النبهاني (2004) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق. ص.ص 193-194.

[95] Tuson, P. (1993), **Records of Bahrain.** 2/283.

ويذكر بأن الشيخ زايد بن خليفة قد حكم أبو ظبي طوال الفترة الممتدة ما بين: 1855-1909.

[96] لوريمر (1967) **دليل الخليج**، مصدر سابق، القسم التاريخي، 188/3-189.

[97] I.O.R: L.P. & S-20-c-241, letter no. 184 dated 5th October 1869 p.22

بتصرفه هذا اتخذ القرار بنفسه وليس بتوجيه منا، ويجب أن ينظم أموره وأمور القبائل ويحمي نفسه".

ويمكن القول بأن المبايعة الشعبية للشيخ عيسى بن علي في شهر ديسمبر 1869، قد عكست القبول الواسع الذي تمتع به في البحرين، وبناء على ذلك الإجماع، فقد تعاون أهل البحرين مع الشيخ عيسى بن علي في وضع حد للخلافات الداخلية، ومنع القوى الإقليمية من التدخل في شؤون البحرين، وعادت الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى سابق عهدها، مما وفر للبحرين فرصة الأمن والاستقرار التي كانت أحوج ما يكون إليها آنذاك.

رابعاً: النتائج المباشرة للإجماع الشعبي على تولي الشيخ عيسى بن علي حكم البحرين

1- استعادة الأمن الداخلي ودرء مخاطر التدخل الخارجي عن البحرين

واجه الشيخ عيسى بن علي تحديات كبيرة فور توليه زمام الحكم؛ فقد كانت البحرين قد أنهكت جراء الصراع الداخلي، وتدخل بعض القوى المجاورة في إذكاء نار الصراع.

كما قامت السفن البريطانية بمصادرة وحرق أهم سفن أسطول البحرين، ودمرت بعض قلاعها بالمدافع، وفرضت على أهلها غرامات باهظة لتعويض رعاياها عن الأضرار التي تكبدوها في تلك الفترة الحالكة من الصراع.

وتمثلت المهمة الأولى للشيخ عيسى بن علي في استعادة الأمن، فنشر رجاله الذين قدموا معه في أرجاء البحرين لوقف أعمال السلب والنهب.

وبعد القبض على أتباع محمد بن عبد الله وناصر بن مبارك ونفيهم من البحرين؛ أعلن الشيخ عيسى بن علي للعناصر الخارجية بأنه: "من لم يفارق البحرين في مدة سبع ساعات يكون دمه هدراً، ففر الأعراب وتنافروا من كل جهة، وخلت منهم الديار"، فهدأت الأوضاع في البحرين، وساد الأمن فيها مجدداً.[98]

أما المهمة الثانية التي تولاها الشيخ عيسى بن علي فقد تمثلت في درء خطر التدخل البريطاني، وتوقيع اتفاقية مع المقيم السياسي لويس بيلي تعهد فيها بالالتزام ببنود معاهدة سبتمبر 1868، والعمل على تعويض الرعايا البريطانيين الذين تعرضت بضائعهم للنهب، وقام بمصادرة أملاك الشيخ محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله وناصر بن مبارك وغيرهم من المتسببين في إحداث الفوضى، ودفع ريعها في دفع تلك التعويضات.

---

[98] ناصر الخيري (2004) **قلائد النحرين**، مرجع سابق. ص 367.

وقد رضي بيلي بتعهدات الشيخ عيسى بن علي فأوقف العلميات العسكرية في البحرين، وانسحب بأسطوله برفقة الكابتن دوغلاس، واستمر الشيخ عيسى في دفع التعويضات حتى استكمل سدادها كاملة بحلول عام 1876.

وكانت المهمة الثالثة التي تولاها الشيخ عيسى بن علي هي: تحقيق المصالحة ورأب الصدع الأسري، فقد فقدت البحرين في أقل من سنة اثنان من أكفأ قادتها، وأودت المعارك الداخلية بحياة عدد كبير من رجال البحرين، وتعرضت تجارتها لخسائر كبيرة، كما هاجر الكثير من سكان البحرين إلى مناطق مختلفة فراراً من أعمال النهب الذي استهدف الأسواق والممتلكات الخاصة.

ولتحقيق ذلك فقد لجأ الشيخ عيسى بن علي إلى ما عرف عنه من كرم وسخاء، وكان في طبعه الحلم والسماحة وعدم الاستعجال في الحكم، وتدارك الأمور بالهون وإصلاح ذات البين، ولذلك فقد نجحت مساعيه في تحقيق المصالحة الداخلية ومنع وقوع المزيد من الفتن.

وقد علق ناصر الخيري على نجاح سياسة الشيخ عيسى بن علي في تهدئة الأوضاع الداخلية عقب توليه الحكم بقوله: **"**أخذ (الشيخ عيسى بن علي) يدير شئون البلاد بما فطر عليه من الرفق وسلامة القلب، فاستقر الأهالي في أوطانهم، وأمنوا النوائب، وأول عمل اضطر إلى إجرائه أنه باشر جمع الأموال التي تعهد بتسليمها إلى الدولة الانكليزية بصفة تعويض عما فقده الرعايا الأجانب إبان الفتنة".[99]

2- الالتزام بالشورى وتعزيز المشاركة الشعبية

وللتأكد من عدم تكرار الصراع الداخلي في البحرين، عمد الشيخ عيسى بن علي إلى تنظيم ولاية العهد فأصدر قانوناً ينص على تولي الابن الأكبر للحاكم منصب ولاية العهد في أكتوبر 1897، وعين الشيخ حمد ولياً للعهد بناء على ذلك بإقرار عدد كبير من وجهاء البحرين، وفي عام 1898 اعترفت بريطانيا بهذه الترتيبات.

وكانت عملية تقليد الشيخ حمد منصب ولاية العهد قد تمت عقب مشاورات مع مختلف فئات المجتمع، حيث يظهر ذلك جلياً في الوثيقة التي تضمنت تواقيع جميع وجهاء البحرين الذين عبروا عن موافقتهم على ذلك التنصيب.[100]

والحقيقة هي أن عهد الشيخ عيسى بن علي قد شهد مشاركة شعبية واسعة في جميع شؤون الحكم والإدارة المحلية، ولم ينفرد الشيخ عيسى في اتخاذ القرار بل استعان بشخصيات عدة في

---

[99] المرجع السابق. ص 385.

[100] الخليفة وأبا حسين (2005) **تاريخ آل خليفة في البحرين**، مرجع سابق. ص.ص 270-272، وقد تضمنت وثيقة ولاية العهد حوالي 45 توقيعاً، وذلك للتأكد من موافقة جميع وجهاء البحرين على تولي الشيخ حمد الحكم بعد وفاة والده.

مراحل مختلفة من حكمه المديد، فاستوزر أخاه الشيخ أحمد بن علي، واستوزر كذلك عم أبيه الشيخ عبد الوهاب بن سلمان بن أحمد الفاتح (1824-1888)، وأوكل إليه إدارة الجمارك، وكان يستشيره في جميع أمور الحكم، وبعد وفاته استوزر ابنه عبد الرحمن بن عبد الوهاب الذي استمر في ذلك المنصب حتى عام 1915.[101]

وكان يوسف بن حسن بن فلاح بمثابة الحاجب له، في حين تولى سعد بن عامر الهزاني ضبط سوق المنامة، وكان سعد قد تولى أميراً على سوق المنامة في عهد والده الشيخ علي، فلما تولى عيسى ثبته في المنصب. كما عُين الشيخ أحمد بن سلمان الشاخوري قاضياً يقضي على المذهب الجعفري عام 1870.[102]

وبرز في عهد الشيخ عيسى بن علي مجموعة كبيرة من العلماء منهم: "الشيخ محمد بن راشد الحسيني المالكي، تولى القضاء إلى أن توفي. والشيخ عبد الرحمن بن جعفر المالكي، تولى القضاء ثم عزل عنه. والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل مبارك المالكي، تولى القضاء ثم عزل عنه، والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف المالكي تولى القضاء إلى سنة 1311هـ حيث ذهب إلى بمبي للتداوي فمات بها. والشيخ قاسم بن مهزع المالكي وهو القاضي الحالي، والشيخ سعيد بن أحمد أبي بشيت المالكي، والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد المالكي خطيب جامع المنامة، والشيخ خالد بن يوسف أبي بشيت المالكي، والشيخ علي بن محمد الباشا المالكي، والشيخ عيسى بن راشد بن عيسى المالكي مفتي المحرق الحالي، والشيخ إبراهيم بن جامع الحنبلي، والشيخ عيسى بن جامع الحنبلي، وابنه الشيخ عبد العزيز بن عيسى بن جامع وقد تقلد مذهب الإمام مالك وهو اليوم إمام جامع الشيوخ في المحرق، والشيخ إبراهيم بن هاشل الشافعي النقشبندي، والشيخ محمد بن عبد الرزاق آل محمود الشافعي خطيب جامع الحد ومفتيه وقد توفي في 24 ربيع أول عام 1336هـ، والفقيه النحوي والفرضي المتفنن الشيخ عبد اللطيف بن محمود آل محمود الشافعي.. والشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرزاق آل محمود وهو خطيب جامع الحد اليوم بعد والده".[103]

كما شهدت البحرين في عهد الشيخ عيسى بن علي حراكاً مجتمعياً ملحوظاً؛ فظهرت الأندية الرياضية، والعلمية والثقافية منها: النادي الإسلامي عام 1910، ونادي إقبال أول عام 1913، والنادي الأدبي عام 1920، والمنتدى الإسلامي عام 1928.[104]

---

[101] المرجع السابق، ص.ص 237-238.

[102] المرجع نفسه، ص 243.

[103] النبهاني (2004) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق. ص 143.

[104] الخليفة وأبا حسين (2005) **تاريخ آل خليفة في البحرين**، مرجع سابق. ص 262.

وقد أثمرت سياسة الشيخ عيسى بن علي في تحفيز المجتمع البحريني للبذل والعطاء؛ فعندما زار أمين الريحاني البحرين عام 1923، لاحظ وجود: "نهضة أدبية اجتماعية مباركة، أجل إن في هذه الجزيرة من الأدباء والشعراء عدداً ليس بقليل، وذكاء ليس بضئيل، إن فيها نهضة تقارن أخواتها في الكويت وفي العراق، وتقارن روحاً وطموحاً على الأقل أخواتها في سوريا ومصر".[105]

ووصف الريحاني الأوضاع السياسية في البحرين قائلاً: "كما رأيت نهضة سياسية هي قرينة النهضة الأدبية، أجل إن في البحرين من ينشدون الوحدة العربية، وفي نادي البحرين من يرفعون النهضتين إلى مستوى الفلسفة العالي، ومستوى الإنسانية الأعلى".[106]

ولاحظ الريحاني بأن الشيخ عيسى بن علي قد وقف إلى جانب الحراك الوطني، وبذل جهوداً حثيثة لتحرير البحرين من التدخلات البريطانية التي تسارعت وتيرتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وقوبلت بالرفض من سائر أفراد المجتمع، وعلق الريحاني على ذلك بقوله: "طلبوا تشكيل جمعية تشريعية فأجاب الشيخ عيسى بالإيجاب وأبى البليوس، طلبوا تنظيم بوليس وطني فرضي الشيخ عيسى ورفض البليوس، قدموا لائحة إصلاح استحسنها الشيخ عيسى وعزم على تنفيذها فقامت عليه وعلى الوطنيين قيامة الوكيل، وبذل ما لديه من قوة لإحباطها".[107]

3- التطوير الإداري والاقتصادي

قام الشيخ عيسى بن علي بوضع الأسس الراسخة لمملكة البحرين الحديثة، فاهتم بالتطوير والإصلاح، وتنظيم الإدارة الداخلية وتحديث المجتمع؛ فازدهرت التجارة واعتبر عهده العصر الذهبي للغوص، ومن أهم ما أنجز في عهده: تأسيس البلديات وتنظيم ولاية العهد، وتأسيس دائرة الشرطة والمكتب الجمركي، وإصلاح المحاكم، وكذلك إنشاء إدارة للتعليم الأهلي والنظامي للبنين والبنات، وإنشاء النظام الصحي والمستشفيات، وغيرها من الترتيبات الإدارية والإصلاحات التي مثلت نقلة نوعية للبحرين في العصر الحديث.

وقد وصف الريحاني الأوضاع الاقتصادية في البحرين بقوله: "وإذا ما السائح وطئ أرض الجزيرة وجال في أسواقها يستلفت نظره كذلك حركة تجارية لا ينبئ حتى ظاهرها بكل ما هناك، فهو يشاهد في المخازن من الملبوس والمأكول والمشروب ومن أسباب الزينة والترف ما يندر إلا في المدن الكبيرة مثل بمباي والقاهرة".[108]

---

[105] أمين الريحاني (1924)، **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت. ص 695.

[106] المصدر السابق، ص 703.

[107] المصدر نفسه، ص 775.

[108] المصدر نفسه، ص 692.

وتحدث الريحاني عن مدينة المنامة فذكر بأن: "عدد سكانها أربعون ألفاً من العرب والإيرانيين والهنود والأوروبيين، وفيهم المسلم والمسيحي واليهودي والفارسي والهندوسي، وهي الميناء العام للبحرين ومركز أحد قسمي حكومتها المزدوجة، القسم البريطاني، ومحور التجارة، فيها بيت البريد والبرق والحجر الصحي، ومرفأ ومخازن كبيرة للجمرك أمر ببنائها الشيخ عيسى آل خليفة، وفيها قلعة الديوان التي بناها أحد ملوك فارس، وكثير من البيوت الفخمة الهندسة والبناء".[109]

كما وصف المحرق بأنها: "مركز النهضة الثقافية اليوم، وفيها المدارس والنادي الأدبي والشبان الغواة بالأدب والعلم".[110]

وأرجع الريحاني ذلك التطور كله إلى حسن سياسة الشيخ عيسى بن علي الذي كان: "يساعد في إنشاء المدارس، ويأمر ببناء المحاجر والمرافق العامة في بلاده، وقد وضع أول حجر في أول مدرسة بيده، وخصها براتب شهري بعد أن افتتح جريدة الاكتتاب بمبلغ وافر من المال".[111]

وبالإضافة إلى استتباب الأمن، وانتعاش التجارة، والازدهار الاقتصادي؛ فقد شهدت البحرين نهضة تعليمية في عهد الشيخ عيسى بن علي الذي خصص من ماله الخاص وقفاً على مدرسة لتدريس العلوم الشرعية عام 1891، ونصب عليها الشيخ أحمد بن مهزع وأوجب عليه التدريس فيها كل يوم عدا الخميس والجمعة.[112]

وفي عام 1919 أمر ببناء مدرسة الهداية الخليفية التي كانت باكورة التعليم الأهلي الحديث، ثم ظهر التعليم النظامي ابتداء من عام 1924، وتأسست أول مدرسة للبنات عام 1928.[113]

أما على صعيد التطوير الإداري ومؤسسات الحكم، فقد شهدت البحرين عام 1919 تأسيس أول نظام إداري؛ حيث عين الشيخ عيسى بن علي أمراء يمثلونه في كل المناطق، ونشأت المجالس البلدية في الفترة 1919-1920، وتولت هذه المجالس مهام إدارية عديدة مثل: التعليم، والصحة، والمواصلات، والأشغال. وتولى الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة رئاسة أول مجلس بلدي.

وكان مكتب إدارة الجمارك قد تأسس عام 1917، ونشأت في الفترة نفسها مجالس أخرى وإدارات للري والزراعة وفض المنازعات والخلافات ودعاوى الغوص.

---

109 المصدر نفسه، ص 723.

110 المصدر نفسه، ص 724.

111 المصدر نفسه، ص 763.

112 الخليفة وأبا حسين (2005) **تاريخ آل خليفة في البحرين**، مرجع سابق. ص 245.

113 المرجع السابق، ص.ص 251-253.

وأظهر الشيخ عيسى بن علي اهتماماً مماثلاً بتطوير الخدمات الصحية وذلك من خلال تبرعه بأرض لبناء مستشفى الإرسالية الأمريكية التي تم تدشينها عام 1903، ثم بنيت مستشفى أخرى للنساء والأطفال عام 1924.[114]

خامساً: ضرورة تعزيز البحث التاريخي في مجال تطور مؤسسات الإدارة والحكم

مثلت أحداث تولي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حكم البحرين في ديسمبر 1869 مرحلة فاصلة في تاريخ البحرين الحديث؛ وخاصة في مجال ترسيخ مفهوم الشورى ووضع أسس العلاقة بين السلطة والمجتمع.

وعلى الرغم من أهمية هذه المرحلة؛ إلا إن البحث التاريخي المعاصر لا يزال قاصراً عن تحليل تطور النظم السياسية في البحرين خلال الفترة الممتدة ما بين تولي الشيخ عيسى بن علي مقاليد الحكم عام 1869، وإعلان ميثاق العمل الوطني عام 2001، وأدى إهمال تطور العلاقة بين السلطة والمجتمع في القرن الثامن عشر إلى إغفال عناصر مهمة في التطور السياسي والاجتماعي لمملكة البحرين.

ويمكن سوق العديد من نماذج التوافق المجتمعي مع السلطة الحاكمة من خلال استعراض التطور السياسي الذي شهدته نظم الإدارة والحكم، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: دور المجتمع في تحديد الهوية السياسية للبحرين عام 1970، وذلك عندما أوفد الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك مبعوثه الشخصي على رأس لجنة تم تشكيلها لزيارة البحرين والتعرف على رؤية أهلها لمستقبل الكيان السياسي للبحرين عام 1970، ونتج عن الإجماع الشعبي على تأسيس دولة مستقلة تحت الراية الخليفية إلى اعتراف الأمم المتحدة بكيان البحرين السياسي ونظام الحكم القائم فيه، ونص القرار على: "الترحيب بما استنتجه وتوصل إليه التقرير، وخاصة النص الذي يقول: إن أغلبية شعب البحرين الساحقة ترغب في الحصول على اعتراف بهويتهم في دولة مستقلة ذات سيادة وحرة في تقرير علاقاتها بالدول الأخرى".

كما مثل ميثاق العمل الوطني الذي تم إقراره في فبراير 2001 تطوراً مهماً في مجال تطور مؤسسات الإدارة، وتنظيم العلاقة بين الشعب والحكم، حيث بلغت نسبة المواطنين المشاركين في عملية التصويت

90,2% وهي من أعلى نسب المشاركة في الديمقراطيات المعاصرة، وأجمع المواطنون على موافقتهم على ما ورد في الميثاق بنسبة 98,4%، مما يدل على قناعة الشعب بما ورد فيه من مبادئ نصت على أن: "العدل أساس الحكم، والمساواة وسيادة القانون، والحرية، والأمن

[114] المرجع نفسه، ص 267.

والطمأنينة، والعلم، والتضامن الاجتماعي وتكافؤ الفرص بين المواطنين، هي دعامات للمجتمع تكفلها الدولة".

وقد جاءت هذه التطورات السياسية في البحرين ضمن نسق من التطوير السياسي والإداري الناتج عن حالة سامية من الوعي الشعبي الذي ظهرت ملامحه بصورة واضحة في مرحلة تولي الشيخ عيسى بن علي الحكم، وتمثل في قدرة المجتمع على صياغة رابط أخلاقي وقانوني يتعامل مع السلطة على أساس أنها عقد بين الدولة والمجتمع، ويقوم على أساس من العدل والمساواة من أجل بناء سلطة القانون والمحافظة على القيم الروحية والثقافية.

وبفضل الروح الوطنية السائدة في تلك المرحلة نجحت القوى المجتمعية في اختبار التحديث من خلال صياغة نمط راق من التعامل بين مختلف فئات المجتمع من خلال التعاون مع الدولة لسن تراعي الجانب الانساني للفرد في العيش والتعبير عن آراءه والمشاركة الفعلية في تبني القوانين التي تحترم أفراد المجتمع وتنظم العلاقة بينهم على أساس المصلحة العامة والعيش المشترك.

ويمكن القول بأن التطورات السياسية والإدارية المفصلية التي شهدتها البحرين عامي 1970 و2001 هي في حقيقتها انعكاس لتطور مفهوم "العقد الاجتماعي" الحاكم للعلاقة بين السلطة والمجتمع، والذي أرسيت أركانه في عهد الشيخ عيسى بن علي الحكم عام 1869، حيث قامت العلاقة بين الدولة والمجتمع على التقدير شعبي للمصلحة العامة التي تسمو على المصالح الفئوية أو الشخصية، مما أتاح مجال التطوير البنيوي القائم على أسس قانونية وأخلاقية انتقلت السلطة بموجبها من مرحلة الإمارة إلى الدولة المدنية الحديثة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

1- أمين الريحاني (1924)، **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت.

2- جون لوريمر (1976)، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، الجزء الثالث، طبعة قطر.

3- عبد الله بن خالد الخليفة وعلي أبا حسين (2005) **تاريخ آل خليفة في البحرين**، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.

4- علي أبا حسين، (1991) "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (1)"، **مجلة الوثيقة**، ع19، يوليو 1991، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.

5- ـــ، (1995) "لمحات من الأحوال السياسية في عهد المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (2)"، **مجلة الوثيقة**، ع28، يوليو 1995، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.

6- فائق حمدي طهبوب (1983) **تاريخ البحرين السياسي 1783-1870**، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
7- فتوح عبد المحسن الخترش (1992) **تاريخ البحرين السياسي 1753-1904: التأسيس والازدهار، دراسة وثائقية لمجموعة سالدانها**، ذات السلاسل، الكويت.
8- مبارك الخاطر (1986) **القاضي الرئيس قاسم بن مهزع: رجل من أرض الحياة 1847-1941**، البحرين.
9- محمد خليفة النبهاني (2004) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالاشتراك مع المكتبة الوطنية بالبحرين.
10- محمد علي التاجر (1994)، **عقد اللآل في تاريخ أوال**، البحرين: مؤسسة الأيام، البحرين. ص.ص143-144.
11- مي محمد الخليفة (1996) **محمد بن خليفة 1813-1890: الأسطورة والتاريخ الموازي**، دار الجديد، بيروت.
12- ـــ، (1998)، **سبزآباد ورجال الدولة البهية: قصة السيطرة البريطانية على الخليج العربي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
13- ـــ، (1999) **مائة عام من التعليم النظامي في البحرين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
14- ـــ، (2002)، **عبد الله بن أحمد: محارب لم يهدأ**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
15- ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري (2003) **قلائد النحرين في تاريخ البحرين**، تقديم ودراسة عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين.

ثانياً: المصادر باللغات الأجنبية

1- Onley J. (2007) **The Arabian Frontier of the British Raj**. Oxford University Press. England. pp. 135-137.
2- Rush, A.E. editor (1991) *"The Ruling Family Bahrain: of Al-Khalifah*" in **Ruling Families of Arabia**, Archive Editions, London, Redwood Press Ltd. p. 27.
3- Saldanha, J. A. (1908) **Selections From State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's**

Connection with the Gulf with a summary of Events, 1600-1800, Calcutta.

4- Schofield, R.N. (1992) **Arabian Boundary Disputes.** Archive International Group, Switzerland.13/5-18.

5- Schofield, R.N. (1993), **Records of Bahrain: Primary Documents 1820-1960**, 8 volumes, Archive Editions**.**

6- Tuson, P. (1993), **Records of Bahrain: Primary Documents 1820-1960.**

7- Warden, F. (1817), *'Historical Sketch of the Uttoobee Tribe of Arabs'*, in Hughes, T. R. editor (1856), **Selections from the Records of the Bombay Government, New Series no. XXIV. Historical and other information connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain and other places in the Persian Gulf**. Bombay.